البِنـــَى النَّصيـَّـة في شعرمحمود درويش قصيدة (بطاقة هُويَّة) أنموذجًا

أحمد عبد الفتاح فرغلي حسين (*)

ملخص

إنَّ موضوع هذا البحث (البنى النصية في قصيدة بطاقة هوية) كنموذج من شعر محمود درويش ، محاولا إلقاء الضوء على التماسك النصي و دوره في الوصول إلى البنى النصية المكونة للبنية الكلية للنص بتطبيق وسائل تحقيق التماسك داخل النص سواء أكانت اللفظية أم المعنوية التي تسهم في الربط بين قضايا النص الداخلية ؛ محاولا فك شفرة النص عبر التحليل النصي المعاصر بالنظرة الكلية للنص.

ينتمي هذا البحث إلى المنهج الوصفي القائم على الوصف و التحليل.

وقد تكون البحث من مقدمة عن موضوع الدراسة،ثم يتناول تعريفا للبنى النصية و دورها في فهم النص .

ثم يتناول البحث قصيدة (بطاقة هوية) دراسة نصية تطبيقية من خلال تناول :

- **أولا : عتبات النص** : من خلال تناول عنوان النص ، وأهمية العنوان في تحقيق التماسك داخل النص ودوره في فهم النص .
- **ثانيا : التماسك النصي** : من خلال تناول كيفية تحقيقه داخل النص ووسائله المتعددة كالإحالة و التكرار و التضام و الحذف كأدوات لفظية ودورها في تحقيق التماسك داخل النص ، وشمل كذلك الروابط المعنوية داخل النص و دورها في تحقيق التماسك .
- **ثالثا : البنى النصية :** و يتناول مفهوم البنى النصية و كيفية تطبيقها داخل النص من خلال إبراز البنى النصية الصغرى التي تحقق البنية الكلية للنص مما يساعد المتلقي على فهم النص.

و قد توصل البحث إلى عدة نتائج منها :

1- أهمية إعادة قراءة النصوص المختلفة (شعرا أو نثرا) قراءة نصية تعتمد على أن النص وحدة دلالية لها تركيبها ونظامها الخاص .

2- أهمية اختيار العنوان كعتبة من عتبات النص ، وذلك لأهميته في الوصول إلى ما يحمله النص من معان تساعد على فهم محتويات النص .

3- دور الإحالة النصية في تحقيق التماسك النصي بين أجزاء النص الداخلية، وكذلك دور الإحالة السياقية في تحقيق الربط بين النص و السياق الخارجي للنص .

4- توافر التكرار داخل النص بأنواعه المختلفة : الكامل و الجزئي و... ، مما يدل على دور وسائل السبك المعجمي في تحقيق التماسك داخل النص .

5- دور أدوات تحقيق التماسك التضام كالتباين والتلازم الذكري ، مما يساعد الكاتب على استخدام مخزونه اللغوي داخل النص .

6- تنوع أنماط الحذف كالحذف الاسمي و الفعلي ودورها في تحقيق التماسك ، دورها في إثارة ذهن المتلقي لملء الفراغات .

7- أهمية العلاقات المعنوية كالحوار و التفصيل بعد إجمال في تحقيق التماسك بين أجزاء النص ، ووجود الحبكة بين قضاياه .

8- دور البني النصية في فهم النص ،والعلائق بين أجزائه ، وقيمتها في الوصول للبنية الكلية التي تساعد في فهم النص .

(*)كلية الأداب – جامعة عين شمس

Text structures in Mahmoud Darwish's Poetry: "Bitaqat Haweyya" as an example

Ahmed Abdel Fattah Farghaly Hussein

Abstract

The subject of this research (textual structures in a poem identity card) as a model of poetry of Mahmoud Darwish, trying to shed light on the cohesion script and its role in access to text structures constituent college of the structure of the text by applying the means to achieve consistency within the text, whether verbal or moral that contribute to the linkage between the internal issues of the text; trying to decipher the text code via textual analysis of contemporary college outlook of the text.

This research belongs to a descriptive approach, descriptive studies based on the description and analysis؛Search be an introduction to the subject of the study, and then addresses the definition of built Scripts and its role in the understanding of the text.Find poem then addresses (identity card) text study applied by eating:

-First: thresholds text: by eating title text, and the importance of the title in the achievement of cohesion within the text and its role in the understanding of the text.

-Second: text cohesion: by eating how to achieve within the text multiple Kalahalh and means and repetition and convergence and deletion tools for verbal and their role in achieving cohesion within the text, as well as moral and included links within the text and its role in achieving cohesion

-Third: brown text: text deals with the concept and infrastructure and how to apply them within the text by highlighting the text of micro structures that check the overall structure of the text, which helps the recipient to understand the text.

Find and had reached several conclusions, including:

1 .the importance of re-reading various texts (poetry or prose) read a text depends on the text tag her unit installed and the private system.

2 .The importance of selecting the title threshold of thresholds text, because it is important in how it access to the text of the gloss helps to understand the contents of the text.

3 .The role of referral text in the text to achieve coherence between the internal parts of the text, as well as the role of referral to the achievement of the contextual link between the text and the external context of the text.

4 Availability of repetition within the text of various types: full and partial and ..., which shows the role of the media in foundries lexical coherence within the text.

5 .The role of tools to achieve cohesion and convergence Kaltbaan Tying condom, which helps the writer to use his stock of language within the text.

6 .diversity deletion patterns Kalhzv nominal and effective role in achieving cohesion, its role in provoking the mind of the recipient to fill in the blanks.

علم النص :

لقد كان ظهور علم النص كاتجاه للبحث اللغوي في النصف الثاني من الستينيات ، والنصف الأول من السبعينيات في غرب أوربا ؛ من أجل الانتقال من النطاق الضيق لنحو الجملة إلى نطاق أرحب هو النص[1].

إن علم لغة النص يعتبر النص وحدة دلالية ، ويدرسه وما يلازمه من اعتبارات أخرى كالاعتبارات السياقية ، فاللغة لا تفهم إلا من خلال سياقها الاجتماعي و الثقافي[2]، فالنص عندهم وحدة متكاملة ، ولا يمكن تحليل الجملة خلال النص منفصلة ، ولا يمكن فهمها إلا من خلال النص كله ومعرفة صلتها بأجزاء النص كله[3]إن دراسة النص لا تمثل صعودا من الجملة إلى النص بحيث ينظر للنص كأنه وحدة تعلو الجملة بل النص وحدة دلالية لها تركيبها و نظامها الخاص[4]، فنرى النص من كل جوانبه دفعة واحدة .

إن النص بنية لغوية كلية يمكن تقسيمها إلى وحدات ، وبنى لغوية صغرى نكشف من خلالها العلاقات الداخلية الموجودة داخل النص ،ويتم دراسته كقطعة نصية كاملة من خلال تحليل العلاقات بين هذه الوحدات النصية التي تشملها بنية نصية كبرى[5].

أهمية موضوع البحث :

لقد حظيت الدراسات النصية بنصيب وافر من الاهتمام ، فهي تعمل على تخطي بنية الجملة إلى بنية النص وصولا للبنية الكلية للنص ، فعلم النص هدفه الأساسي تحليل النص كاملا ، فأصبحت مهمة الأدوات الرابطة أوسع وأشمل بحيث تشمل النص كله.

إنَّ موضوع هذا البحث (البنى النصية في قصيدة بطاقة هوية) كنموذج من شعر محمود درويش ، محاولا إلقاء الضوء على التماسك النصي و دوره في الوصول إلى البنى النصية المكونة للبنية الكلية للنص بتطبيق وسائل تحقيق التماسك داخل النص سواء أكانت اللفظية أم المعنوية التي تسهم في الربط بين قضايا النص الداخلية ؛ محاولا فك شفرة النص عبر التحليل النصي المعاصر بالنظرة الكلية للنص.

وكان اختيار الشاعر محمود درويش و قصيدته؛ إعجابا بالشاعر محمود درويش الذي " شكّل على مدى سنوات عطائه الشعري ظاهرة شعرية لافته للنظر ومدرسة إبداعية جديرة بالتوقف أمامها ، وبتلك القصيدة وبما تتضمنه من معان سامية ، ومن إحياء للهوية العربية التي يحاول البعض طمسها ، فقد كتب محمود درويش الشعر ليظل باقيا في عصر الظلم و التغيب القسري[6] .

فالبحث يحاول قراءة للقصيدة العربية على أساس النظرية الحديثة بتحليل البنية النصية الصغري للكشف عن التماسك الجزئي؛ لتحقيق البنية الكلية.

منهج البحث :

ينتمـي هذا البحث إلـى المنهج الوصفي، والدراسات الوصفية تقوم علـى الوصف و التحليل ؛ محاولة توصيف التماسك النصي والوسائل التي تحقق التماسك داخل النص ، وكيفية الوصول إلى البنى النصية ؛ لفهم البنية الكلية للنص .

تخطيط البحث :

لقد تكون البحث من مقدمة عن موضوع الدراسة ، و أهمية مثل تلك الأبحاث ، ومنهج البحث ، و يضم البحث بين جنباته تعريفا بالشاعر محمود درويش، ثم يتناول تعريفا للبنى النصية و دورها في فهم النص .

ثم يتناول البحث قصيدة (بطاقة هوية) دراسة نصية تطبيقية من خلال تناول :

- **أولا : عتبات النص** : من خلال تناول عنوان النص ، وأهمية العنوان في تحقيق التماسك داخل النص ودوره في فهم النص .

- **ثانيا : التماسك النصي** : من خلال تناول كيفية تحقيقه داخل النص ووسائله المتعددة كالإحالة و التكرار و التضام و الحذف كأدوات لفظية ودورها في تحقيق التماسك داخل النص ، وشمل كذلك الروابط المعنوية داخل النص و دورها في تحقيق التماسك .

- **ثالثا : البنى النصية :** و يتناول مفهوم البنى النصية و كيفية تطبيقها داخل النص من خلال إبراز البنى النصية الصغرى التي تحقق البنية الكلية للنص مما يساعد المتلقي على فهم النص.

ويختم البحث بخاتمة تتضمن ما توصل إليه البحث من نتائج .

البنى النصية :

إن مفهوم البنية الكلية للنص " يعد بنية مجردة ، وقد أشار فان ديك إلى أهمية الوصول للبنية الكلية للنص من خلال قيام القارئ بعدة عمليات ، وهذه العمليات ذات طبيعة حذفية أى : أنها تعتمد على حذف مجموعة من المعلومات الدلالية بحيث يمكن اختزال القضايا ، والمتواليات إلى مجموعة من البنيات الجزئية يستخلص منها البنية الكلية التى يتولد منها النص[7]، فلكل نص بنية كلية مع اختلاف طريقة الوصول إليها من نص إلى أخر ، و إمكانية وجود البنية الكلية يمكن أن يبرهن عليها من خلال إمكانية تلخيص النص[8]، فإن قدرة القارئ ، أوالمتلقي على الوصول إلى تلخيص للمعنى الدلالي الذي يشير إليه النص دون إنقاص في المعنى ؛ فإن ذلك يعني قدرته على الوصول للبنية الكلية والبنى الكبرى التي يتكون منها النص مع الأخذ في الاعتبار أن البنية الكلية للنص " لا تقتصر على العلاقة بين القضايا المتجاورة إنما هي بنية شمولية تلتقط عناصرها من مجموع قضايا النص

المتآلفة "[9].

إنَّ البنية الكلية يُتوصَّل إليها من خلال النص كله ، ولا ينظر إليه بأنه مجموعة قضايا ، فلابد أن تتآلف هذه القضايا ، وتتماسك فيما بينها ؛ ليتكون نص مترابط القضايا ، ونصل بذلك للقضية الكبرى التى يتضمنها النص ككل ، وإن كانت البنية الكبرى للنص مكونة من قضايا ،وبنى صغرى ، فقد تكون البنية الصغرى مساوية للبنية الكبرى إن كان النص مكونا من جمل قليلة فقط ، أو جملة واحدة[10].

من خلال البنى النصية داخل النص يمكن تكوين القضية الشمولية التى يتضمنها النص ، فالوظيفة الدلالية للبنى النصية هي تنظيم المعلومة المعقدة للغاية داخل النص من خلال عمليات الاختصارات للمعلومة الدلالية ، فهي عملية أعادة بناء شكلي للنص ، فالبنية الكبرى للنص تعين مستعمل اللغة على معرفة موضوع الحديث القائم أمامه بحيث يستنبط الموضوع من خلال النص المحبوك ، فموضوع النص هو ما نطلق عليه البنية الكبرى للنص[11].

وسيتناول هذا البحث إحدى قصائد شاعر الوطن و الثورة دراسة نصية، يوضح البنى النصية ودورها في تحقيق التماسك النصي بين قضايا النص وهي قصيدة (بطاقة هوية) التي اشتهرت بمطلعها " سجّل أنا عربي " ، وقد شكّلت تحدياً صريحاً وصارخاً للسلطات الصهيونية التي تضيق بعرب فلسطين ممن لم يقعوا في فخ اللجوء ، وتمسكوا بالأرض والوطن . فهي صريحة في تحديها ، صريحة في موقفها ، صريحة في انتمائها وقد قال عنها محمود درويش :"أجد فيها أسماء هويتي الوطنية و الشعرية التي ظلت تطاردني وتلاحقني "[12].

(بطاقة هوية) [13]

سجِّل!
أنا عربي
ورقم بطاقتي خمسون ألف
وأطفالي ثمانية
وتاسِعُهم... سيأتي بعد صيف!
*
سجِّل!
أنا عربي
وأعمل مع رفاق الكدح في محجر
وأطفالي ثمانية
أسلّ لهم رغيف الخبز ،
والأثواب والدفتر
من الصخر..
ولا أتوسل الصدقات من بابك

ولا اصغر
أمام بلاط اعتابك
فهل تغضب؟
*
سجل!
انا عربي
انا اسم بلا لقب
صبور في بلاد كل ما فيها
يعيش بفورة الغضب
جذوري..
قبل ميلاد الزمان رست
وقبل تفتح الحقب
وقبل السرو والزيتون
وقبل ترعرع العشب
أبي ...من أسرة المحراث
لا من سادة نجب
وجدي كان فلاحا
بلا حسب.. ولا نسب
يعلمني شموخ الشمس قبل قراءة الكتب
ويبتي ، كوخ ناطور
من الاعواد والقصب
فلا ترضيك منزلتي ؟
انا اسم بلا لقب !
*
سجل
أنا عربي
ولون الشعر فحمي
ولون العين بني
وميزاتي:
على رأسي عقال فوق كوفية
وكفي صلبة كالصخر..
تخمش من يلامسها
وعنواني :
أنا من قرية عزلاء...منسية
شوارعها بلا اسماء
وكل رجالها.. في الحقل والمحجر
فهل تغضب؟

*

سجل
أنا عربي
سلبت كروم أجدادي
وأرضا كنت افلحها
أنا وجميع أولادي
ولم تترك لنا.. ولكل أحفادي
سوى هذي الصخور..
فهل ستأخذها حكومتكم..كما قيلا!؟
إذن !
سجل...برأس الصفحة الاولى
انا لا اكره الناس
ولا أسطو على احد
ولكني... اذا ما جعت
آكل لحم مغتصبي
حذار...حذار... من جوعي
ومن غضبي.

*

عتبات النص :

إن أهم ما يجب التوقف عنده عند دراسة عتبات النص عتبة العنوان التي يوليها النصيون عناية كبيرة لما لها من دور في إثارة فضول المتلقي ، ومن ثَّم يثير التساؤلات لديه ، فالنصيون لا يعدونه شيئا هامشيا بل إحالة مرجعية إلى النص كله تضئ الطريق لفهم النص ، و تمهد له ، و تعبر عن مضمونه في إيجاز وتكثيف[14].

يمثل العنوان أول مفاتيح النص ، وقد استخدم الشاعر لقصيدته عنوانا له دلالته ورمزيته (بطاقة هوية)، و قد آثر الكاتب أن يكون هذا العنوان جزءا من جملة على القارئ أن يعمل فكره وعقله في استكمال بنيته فهو صالح لأن يكون خبرا لمبتدأ محذوف أو أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف أو يكون مفعولا لفعل محذوف ، و الحذف وسيلة من وسائل تشويق القارئ و إثارة فضوله ، وتحفيزه ليتخطى عتبة النص للدخول في محيطه ؛ليكشف ما يحمله من تأملات ومعان ، ليكشف ماهية البطاقة ومحتواها ، والهوية ومرادها ، وهو كأنما يحاول أن يحدد وجهته في الحياة مبينا لمن لا يعرفه جوانب شخصيته ، وهدفه في الحياة بما يحمله لفظ الهوية من معان .

إن لفظ الهوية يحمل في جوانبه عدة تساؤلات عن محتواها هل تحتوي على الاسم و الجنسية و العمل أم ماذا تحمل ؟ ، فمن خلال النص يجيب عن هذه التساؤلات ، ويحاول أن يلخص محتوى النص من خلال العنوان .

فالهوية تعنى في اللغة:(الذات)[15]، وهي جملة من العلاقات المادية والرمزية التي تربط وتوحد عددا من الأفراد وهم في حالة صراع ضد مجموعة مشابهة في الجوهر مخالفة في المظهر[16].

أنواع الهوية[17] :

1- الهوية الفردية : وتتشكل من المميزات الخاصة للفرد التى تميزه عن الفرد الأخر داخل جماعته المنتمى إليها مثل (الذكاء، الشجاعة، الاجتهاد ....).

2- الهوية الجماعية : وتتشكل من القواسم المشتركة بين الشخص الفرد وبين أفراد الجماعة التي ينتمي إليها، وهذه القواسم قد تكون اجتماعية أو اقتصادية أودينية أوثقافية أو تاريخية أو جميعها معا، تأخذ خاصية موحدة مثل (عربى، أمريكى، مسلم، مسيحي.....).

ومما سبق يمكن أن نوضح أن مكونات أية هوية تتداخل فيها ما يميز الفرد نفسه عن غيره ، أيا كان هذا الأخر، وما هو مشترك بين الفرد وجماعته التى ينتمى إليها، وما هو مشترك بين الجماعة وغيرها من الجماعات الأخرى، أو ما هو مميز وفارق بين الجماعة والجماعات الأخرى.فالهوية هي نسق من معايير ومكونات تعرف الفرد أو الجماعة.وتشمل المكونات المشتركة بين الفرد وجماعته، اللغة، الدين، الثقافة، الجغرافيا، التاريخ، المصير المشترك، الموروث الشعبى، الزى، اللهجة .

أما عن مميزات الهوية الفلسطينية فى شعر محمود درويش فقد عبر درويش عن الهوية بتعبير صريح مباشر غير قابل للتأويل حينما حسم التعريف بهويته عندما اقتضى واقع الحال السياسى الحسم وكذا تطلب الأمر تحديد هوية الإنسان الفلسطيني كفرد وكجماعة، في قصيدته "بطاقة هوية"، فقد جاء العنوان معبرا عن القصد و الدلالة التي يحملها، و إن كان يتباين في المكونات طبقا لتباين الثقافات والمرجعيات .

إن منطلقات محمود درويش في تحديد أو تشخيص مكونات الهوية الفلسطينية لم تكن وليدة ظرف سياسى أو ظرف مكانى أو واقع فرض ذاته على مرحلة تاريخية من تاريخ الشعب الفلسطينى، وإنما مستمدة من جذور ممتدة فى تاريخ موغل فى القدم وأيضا من واقع مواكب لتطور سياسي اجتماعي اقتصادي ثقافي يعيشه الفلسطينيون فى فلسطين المقيمة أو فى فلسطين المهجرة.وقراءات متفحصة تحليلية لشعر درويش نجد أنه يغوص فى عمق التاريخ ليؤكد معالم هوية الفلسطينى حيث تشكلت ثوابتها ، لقد استطاع محمود درويش أن يمازج بين الأوصاف الظاهرة للهوية الفلسطينية، والأوصاف النفسية لهذه الهوية.

ومن مميزات للهوية عند محمود درويش كما تظهر خلال النص موضوع الدراسة[18]:

1- الأصالة التاريخية :إن تاريخ الهوية الفلسطينية سابق للزمان، فهي أزلية قد يعود تكونها إلى وجود الإنسان نفسه، فيقول :

جذوري..
قبل ميلاد الزمان رست
وقبل تفتح الحقب
وقبل السرو والزيتون
وقبل ترعرع العشب

فهو يتحدث عن أصالة الهوية الفلسطينية و كأنها سابقة لأي مظهر من مظاهر الحياة الأخرى على الأرض، إن الشاعر هنا يتحدث بصيغة الأنا، فقد يبدوا انطباع أنه يتحدث عن هوية فردية، لكن الأمر مغاير لذلك ، فالشاعر استطاع أن يعبر ويقصد الجمعي دائما وإن كانت الأنا هي ظاهر الكلام أحيانا، فهو يعبر عن الفلسطيني أيا كان (أنا اسم بلا لقب) ، كما أن مظاهر الحياة وتفاعلها لا تتشكل بفرد واحد وإنما من خلال المجموع ، فهو تاريخ حقيقي واقعي، مرتبط أساسا بالتعامل مع الأرض إعمارا بكل مظاهر الإعمار من فلاحة وبناء ووجود مادي .

سجل
أنا عربي
سلبت كروم أجدادي
وأرضا كنت افلحها
أنا وجميع أولادي

إن تاريخ الفلسطيني هو متواصل لم ينقطع عند مرحلة تاريخية معينة ويندثر، بل ممتد حيث كان في الأزل إلى الحاضر والمستقبل أيضا.

2 ــالطبيعة :

إن طبيعة المجتمع الفلسطيني في عمومه هو مجتمع زراعي فلاحي، يقوم على فلاحة الأرض ، فالأرض هي ليست مجرد موطن للإقامة والسكنى، وإنما أيضا مصدرا للبقاء والاستمرارية، لذا فإن الفلاحة هي سمة الفلسطيني التي من خلالها يعبر عن ارتباطه بالأرض ويؤكد بها صيرورته، فهي متوارثة من الجد إلى الإبن إلى الأجيال المتعاقبة ، فالطبيعة في شعره ليست مجرد جمال بل هي ارتباط بين حاجة الإنسان و مطالبه ، فالفلاحون لا يفضلون الورد على القمح ، فالقروي يعيش في قلب الطبيعة يدرك فيها احتياجات الإنسان[19]، كما يقول:

أبي ...من أسرة المحراث
لا من سادة نجب
وجدي كان فلاحا
بلا حسب.. ولا نسب
يعلمني شموخ الشمس قبل قراءة الكتب
ويبتي ، كوخ ناطور

من الاعواد والقصب
فلا ترضيك منزلتى ؟
انا اسم بلا لقب !

ولـيس هـذا فحسـب وإنمـا هـذا المكـون الفلاحـي هـو مبعـث فخـر واعتـزاز للفلسطيني وهو يصر على استعادة هذا المكون المميز لـه كفلسطيني بعد أن اغتصبه المحتل :

سلبت كروم أجدادي
وأرضا كنت افلحها
أنا وجميع أولادي

3- التسامح و التعايش :

إن الفلسطيني رغم عوامل التذويب والاقتلاع التي تعرض لها منذ حقب طويلـة، إلا أنـه لـم يسـتبدل التسـامح بـالكره، وإن كـان متشـبثا بحقوقـه ومناضـل مـن أجـل اسـتعادتها، فهـو لا يقـاوم الإسـرائيلي / اليهـودي لمجـرد أنـه يهـودي وإنمـا لأن هـذا الأخير محتل للأرض فيقول :

سجل...برأس الصفحة الاولى
انا لا اكره الناس
ولا أسطو على احد
ولكني... اذا ما جعت
آكل لحم مغتصبي
حذار...حذار... من جوعي
ومن غضبى

والواقـع أن سـمة التعـايش والتسـامح لـدى الفلسـطيني، تتجسـد فـي العـيش المشترك بين أطياف المكون الدينى للشعب الفلسطينى المتمثلة فى الإسلام والمسيحية و اليهودية.وأن العلاقة بين هذه الأطيـاف تتأسس على المحبـة والمجادلـة بـالتى هـى أحسن.

4- الصفات :

إن الصـفات قـد تتـداخل فـي إطارهـا العـام مـع مكونـات الهويـة العربيـة والإنسانية عموما ، فالهوية الفلسطينية فى عمقها مكونـات عربيـة، وأيضـا قد تتداخل مع مكونات هويات غير عربية، فظاهر الصفات هـى فـى الأصل قاسم مشترك بين الناس جميعا ، ولكن ما يميز مكونات صفات الفلسطيني عن غيره، أن لهـا تفاصيل مختلفة وهي الفارقـة، وقد عبر درويش عن صفات الفلسطيني المميز مباشرة.لأن هذه الصفات محددة وخاصة.وأبرز هذه الصفات لون الشعر ولون العينيين:

سجل
أنا عربي
ولون الشعر فحمي

ولون العين بني

وهنا ارتبط تحديد الاسم والعرق بالصفة الجسدية المميزة ، فالعربي يكون لون شعره أسودا في الأغلب ، وكذلك فإن لون عينيه يكون ذا ألوان داكنة، بخلاف الأخر غير العربي الذي ربما يكون ذو شعر أشقر وعينان ملونتان، فالعربي الفلسطيني يمكن تميزه عن غيره بأهم صفتين شكليتين ظاهرتين هما لون الشعر ولون العينين.

5- الموروث الشعبي :

إن أبرز الأشياء التي يحاول المحتل سلبها من الشعب الفلسطيني منذ عقود هي موروثه الشعبي بكل مكوناته الفلكلورية والتقاليد والعادات ؛ لأن الموروث الشعبى هو أحد التأكيدات على التأثير الفلسطينى فى الحضارة الإنسانية، لقد شكل التراث مرتكزا فى شعر محمود درويش، إلى درجة يعرف على ذاته كفرد أو كجماعة من خلال بعض المستلهمات التراثية.

وميزاتي:

على رأسي عقال فوق كوفية

فالميزة هنا هي خاصة بالفلسطيني فردا أم جماعة، فارتداء العقال والكوفية هي من الفعل الفارق بين الفلسطيني / العربي وغيره.

6- القومية[20]:

إن تفرد الهوية الفلسطينية في صفات خاصة بها لا يعني ذلك انعزالها عن عمقها القومى العربى، بل إن أصل الهوية فلسطينية وجذورها عربية، وقد أخذت سمات خاصة بها بحكم الموقع الجغرافي بل إن بعض الخصوصيات للهوية الفلسطينية تتشابه وخصوصيات هويات عربية أخرى أو تتطابق معها ، ودرويش أتى على خصوصيات الهوية الفلسطينية حينما تتعرض هذه الخصوصيات للاستلاب والاقتلاع والإلغاء والتزوير والاستيلاء على المكان والذاكرة من طرف المحتلين المتعاقبين على فلسطين، وذلك قصد التأكيد على هذه الخصوصيات وحمايتها ، ويأتي على الكل القومي في التعبير عن الهوية حينما تستنهض مكونات التاريخ والدين والقيم والموروث الشعبي وغيرها ؛ لتأكيد امتداد الشاعر التاريخي والثقافي والاجتماعي في أمة تتجاوز حدود الجغرافيا وحدود الذات الفردية أو الجماعية ، فقصيدة بطاقة هوية هى رد حاسم على محاولات الأخر الإسرائيلى المحتل بتفتيت الهوية العربية للفلسطينيين ، فالعلاقة بين الوطنى والقومى فى بعد الهوية كالعلاقة بين الخاص والعام، فدرويش كان حاسما ودون تأويل حينا عرف على الفلسطينى وميزه عن الأخر فى بطاقة هوية إذ قال :

سجل ! أنا عربى

فهو يؤكد أن فلسطين هي جزء من جغرافيا العرب وتاريخهم.

7- الإنسانية [21] :

إن خصوصية الهوية الفلسطينية، لا تتأس على مكونات عنصرية منغلقة، فليس ثمة فى هذه الخصوصية ما يعظم من البعد الفلسطينى ويحقر الأخر، فلا وجود للكره:

سجل...برأس الصفحة الاولى
انا لا اكره الناس
ولا أسطو على احد

لقد شكلت الهوية عنصرا مهما ومرتكزا أساسيا فى شعر محمود درويش، كتعبير عن كينونة شخصية للشاعر نفسه وأيضا كدلالة مميزة لقضية وطنية إنسانية ينتمى إليها درويش ، وقد حملت قصائد درويش الهوية الفلسطينية وعبرت بها من الذات إلى الكونية ؛ لتتعايش مع الأخر، لقد استطاع درويش أن يحفظ لكل الفلسطينيين المشتتين أينما حلوا أو أقاموا الشق الفلسطيني، فبات شعر درويش شريان يربط الفلسطيني المهجر بوطنه الأم .

هكذا كان العنوان تلخيصا لمضمون النص ، فجاء العنوان مناسبا للعناصر التى يشتمل عليها النص ، ومحاولة الربط بين العنوان والمضمون يساعد المتلقى على فهم النص .

التماسك النصي :

إن النص وحدة متكاملة ، ولا يمكن تحليل الجملة خلال النص منفصلة، ولا يمكن فهمها إلا من خلال النص كله ومعرفة صلتها بأجزاء النص كله[22]، **ولقد اعتمد الشاعر في قصيدته على عدد من الوسائل التي تحقق التماسك النصي في القصيدة منها:**

الإحالة التي استخدمها الشاعر في سبك أجزاء النص ، وقد كثرت الإحالة إلى المتكلم (الشاعر) الذي يقوم بإلقاء القصيدة كما ورد :

أنا عربي
ورقم بطاقتي خمسون ألف
وأطفالي ثمانية
أسلّ لهم رغيف الخبز
وأعمل مع رفاق الكدح في محجر

فالضمائر الموجودة بالنص سواء أكانت المتكلم الظاهر نحو (**أنا** □ **ياء المتكلم** في (**بطاقتي، أطفالي**) أم المستتر نحو (**أسل (أنا)** ، **أعمل (أنا)** ، فهذه الضمائر تحيل إلى ذات المتكلم (الشاعر) ، وقد تعدد هذه الإحالة النصية إلى سابق بين قضايا النص نحو :

سجل
أنا عربي
سلبت كروم أجدادي

وأرضا كنت افلحها
أنا وجميع أولادي
ولم تترك لنا.. ولكل أحفادي
سوى هذي الصخور..
فهل ستأخذها حكومتكم..كما قيلا!

فقد جاءت الإحالة إلى سابق بالضمائر لتعمل على سبك النص فضمير الغائب في (**أفلحها**) جاء ليحيل إلى سابق وهو (**الأرض**) ، وفي (**ستأخذها**) ؛ ليحيل إلي الصخور ، وهكذا توافرت الإحالة إلى سابق القصيدة :

وكفي صلبة كالصخر..
تخمش(هي) من يلامسها
وعنواني :
أنا من قرية عزلاء...منسية
شوارعها بلا اسماء
وكل رجالها..في الحقل والمحجر
فهل تغضب؟

وقد كان للإحالة السياقية دور خلال النص حيث تعمل على ربط النص بالسياق الخارجي نحو :

سجِّل(أنت) أنا عربي

فالشاعر يخاطب خلال النص شخصا أو جهة ما و لا يمكن فهم تلك الإحالة إلا من خلال معرفة السياق الذي قيل فيه النص حيث ذكر الشاعر الموقف الذي قيلت فيه القصيدة فيقول : لقد ذهبت الى وزارة الداخلية لاستصدار بطاقة هوية أو لتجديدها، لا أذكر على وجه التحديد ,وكان هناك استمارة على الموظف ملؤها وتتعلق بمعلومات عني، عن مكان وعن سكني وولادتي... الخ، الى أن سألني الموظف ؛القومية؟« أجبته ؛عربي«، فعاود السؤال وكأنما في نبرة السؤال وفي إعادته على هذا النحو استنكار، فقلت له مجددا .

فمن خلال معرفة سياق القصيدة ندرك أن الضمير هنا يحيل إلى خارج وهو الموظف وقد تكررت تلك الإحالة خلال النص نحو ضمير المخاطب (**الكاف**) في قوله :

ولا أتوسل الصدقات من بابك
ولا اصغر .. أمام بلاط اعتابك

وقد برع الشاعر في استخدام الإحالة بالانتقال من ضمائر المخاطب إلى المتكلم أو الغيبة :

سجِّل!
أنا عربي
ورقم بطاقتي خمسون ألف

وأطفالي ثمانية
وتاسِعُهم... سيأتي بعد صيف!

ومن الانتقال من ضمير المتكلم إلى الغائب أو المخاطب :

على رأسي عقال فوق كوفية
وكفي صلبة كالصخر..
تخمش من يلامسها
وعنواني :
أنا من قرية عزلاء...منسية
شوارعها بلا اسماء
وكل رجالها.. في الحقل والمحجر
فهل تغضب؟

وهذا الالتفات في استخدام الضمائر من شأنه أن يساعد على تنشيط السامع وتساعد على الإصغاء للنص [23] .

ومن وسائل التماسك خلال النص (التكرار) بأنماطه المتعددة ومنها التكرار الكامل نحو ما جاء في بداية كل مقطع ، ويمكن أن نسميه تكرار استهلالي في مطلع كل مقطع في قوله :

سجِّل!
أنا عربي

التي جاءت في مطلع كل مقطع من القصيدة ثم تأتي بعدها البنية التي يأتي النص معبرا عنها ثم يعقب هذا المطلع بتفصيلات متعددة من خلال قضايا متتابعة ، ويحمل هذا التكرار دلالة قوية على الاعتزاز التام بأصالته و قوميته العربية ويحاول أن يجعل المحور الرئيسي الذي تدور حوله القصيدة محور الفخر و الاعتزازه بأصله الفلسطيني العربي.

وقد توالى التكرار الكامل لعدد من القضايا خلال النص نحو تكرار قوله : **(أطفالي ثمانية)** التي تكررت خلال مقطعين من مقاطع القصيدة معبرا عن معاناته في تربية أبنائه وما يحتاجونه خاصة الهوية الفلسطينية العربية ،ومن أنماط التكرار التام تكرار لفظ **(أنا)** خلال مقاطع النص :

أنا عربي انا اسم بلا لقب انا اسم بلا لقب !
أنا من قرية عزلاء أنا وجميع أولادي انا لا اكره الناس

إن تكرار الشاعر للفظ **(أنـا)** قد تشعر أنه يتحدث بصيغة الأنا، فقد يبدوا انطباع أنه يتحدث عن هوية فردية، لكن الأمر مغاير لذلك ، فالشاعر استطاع أن يعبر ويقصد الجمعي دائما وإن كانت الأنا هي ظاهر الكلام أحيانا، فهو يعبر عن الفلسطيني أيا كان **(أنـا اسم بـلا لقـب)** ، وجاءت للتعبير عن بعض الجوانب الأنسانية **(أنا لا أكره الناس)** .

ومن صور التكرار الكامل تكرار اسم الفعل في قوله **(حذار ...حذار)**

للدلالة على التأكيد على التحذير من ثورة الغضب ، ومن ذلك تكرار التساؤل (**هل تغضب ؟**) التي تعبر عن الاستنكار الشديد من هذا المحتل المتمثل في شخصية الموظف .

ومن التكرار الجزئي خلال النص من خلال إعادة أصل البنية مع وجود جوانب الخلاف في شكل الصيغة وهو ما يؤدي إلى استمرار تماسك النص ومن ذلك قوله : (**هل تغضب ؟**) ، **(يعيش فورة الغضب)** ، **(حذار حذار من جوعي ومن غضبي)** فقد حدث التكرار الجزئي من خلال تغيير البنية الصرفية فجمع بين صيغة المضارع و المصدر ،مما يعمل على تأكيد روح الغضب الثوري داخل نفس الشاعر تمسكا بأرضه وموطنه ورفضا لكل محتل مغتصب .

ومن ذلك الموازاة داخل مقاطع النص كنمط من أنماط التكرار نحو :

لون الشعر فحميُ
لون العين بنيُ
ومن ذلك قوله :
قبل تفتح الحقب
قبل ترعرع العشب

فكرار البنية المكونة من: (**ظرف + المصدر + المضاف إليه)** ومن ذلك تكرار (**لا + الفعل المضارع**) نحو:

لا أكره الناس
لا أسطو على أحد
لا اتوسل الصدقات لا أصغر ...

وجاء التكرار بأنماطه المتعددة خلال النص سواء من خلال وجود الفواصل بين أنماط التكرار أو عدم وجود فواصل ، مما يعمل على تحقيق التماسك بين أجزائه ، ومن صور التكرار بالترادف كما جاء في النص:

أبي ...من أسرة المحراث
لا من سادة نجب
وجدي كان فلاحا
بلا حسب.. ولا نسب

فالترادف متحقق في قوله (**اسرة المحراث**) و(**كان فلاحا)** تأكيدا على الأصل الزراعي لكل فلسطيني وقوله **(لا من سادة نجب)** و **(بلاحسب ولا نسب)** تأكيد لنسبه البسيط ككثير من الفلسطينيين الذين يعتمدون على أصالتهم التاريخية و ليس على السلطة و المال و كأنه يوازن بين هؤلاء المحتلين الذين يحتلون الأرض مستغلين المال و السلطة أما هو فأهلها بأصالتهم .

ومن الوسائل التي استخدمها الشاعر لتحقيق التماسك من خلال أدوات الربط المتعددة ، ومن ذلك أدوات الربط التشاركي مثل: (**الواو)** التي تعمل على تتابع الأحداث وتواليها في شكل متماسك نحو :

أنا عربي
وأعمل مع رفاق الكدح في محجر
وأطفالي ثمانية
أسلّ لهم رغيف الخبز ،
والأثواب والدفتر
من الصخر..
ولا أتوسل الصدقات من بابك
ولا اصغر
قبل ميلاد الزمان رست
وقبل تفتح الحقب
وقبل السرو والزيتون
وقبل ترعرع العشب
أبي ...من أسرة المحراث

فتكرر(الواو) بين قضايا النص مما يحقق السبك النصي الذي يحقق التماسك بين أجزاء النص .

ومن الربط الاستدراكي ما جاء في قوله :

انا لا اكره الناس
ولا أسطو على احد
ولكني... اذا ما جعت
آكل لحم مغتصبي

فقد استخدام الشاعر (**لكن**) ؛ ليربط بين إجزاء النص من خلال الاستدراك في المعنى مما يحقق التماسك بين القضايا السابقة و اللاحقة .

ومن أدوات التماسك النصي التي اعتمد عليها الشاعر (الحذف) ، فيظهر الحذف الفعلي نحو:

أسلّ لهم رغيف الخبز ،
و(...) الأثواب والدفتر
من الصخر..

ومن الحذف الاسمي قوله :

انا اسم بلا لقب
(...) صبور في بلاد كل ما فيها.

فجاء الحذف خلال قضايا النص بما يعمل على تنشيط ذهن المتلقي ، الذي يحاول على ملء هذه الفراغات بما يحقق المعنى المراد .

ومن أدوات التماسك النصي ما نجده من التلازم الذكري نحو ما نجده بين العلاقة الموجودة بين العنوان (**بطاقة هوية**) و بين محتويات النص كما أظهرنا ذلك في حديثنا عن العنوان باعتباره عتبة من عتبات فهم النص حيث أورد في النص كثير من جوانب الهوية التي تشتمل عليها هذا المعنى ، ومن التلازم ما نجده في

قوله:

أبي ...من أسرة المحراث
لا من سادة نجب
وجدي كان فلاحا
بلا حسب.. ولا نسب
يعلمني شموخ الشمس قبل قراءة الكتب
ويبتي ، كوخ ناطور
من الاعواد والقصب
سلبت كروم أجدادي
وأرضا كنت افلحها
أنا وجميع أولادي
ولم تترك لنا.. ولكل أحفادي
سوى هذي الصخور

فقد تحقق التلازم من خلال ذكره (**الفلاح- المحراث** □ **الأعواد** □ **القصب** □ **الكروم** □ **أرض**) فرغم التباعد ووجود الفواصل بين القضايا إلا أنه يساعد على تحقيق التماسك بين أجزاء النص .

و قد ظهر **التباين** بين أجزاء قضايا النص كأداة من أدوات التضام داخل النص :

صبور في بلاد كل ما فيها
يعيش بفورة الغضب.

ومن العلاقات التي تحقق التماسك النصي دون وجود الروابط السطحية خلال النص علاقة التفصيل بعد إجمال ، والتي تعتبر علاقة محورية خلال النص كاملا فهو يبدأ بقضية محورية وهي (**أنا عربي**) ، ثم يبدأ في التفصيل في سمات الهوية العربية على مدار النص خلال مقاطعه المتعددة :

سجل!
انا عربي
انا اسم بلا لقب
صبور في بلاد كل ما فيها
يعيش بفورة الغضب
جذوري..
قبل ميلاد الزمان رست
وقبل تفتح الحقب
وفبل السرو والزيتون
وقبل ترعرع العشب
أبي ...من أسرة المحراث
لا من سادة نجب

فهو بإجمال الهوية (**عربي**) ، ثم بدأ في تفصيل السمات العربية التي يتميز بها الشاعر أو الفلسطيني بصفة عامة كما ورد بالمقطع .

وهناك علاقة الحوار الضمنى الموجودة بين أجزاء النص ، حيث تدور القصيدة على حوار متخيل- بين الشاعر و الموظف أو المُحتـَل ، ويحمل الحوار بين جنباته التساؤلات ، و لكن يسيطر الشاعر بصورة كلية على الحوار:

سجل
انا عربي
انا اسم بلا لقب
وبيتي ، كوخ ناطور
من الاعواد والقصب
فلا ترضيك منزلتي ؟
انا اسم بلا لقب
فهل تغضب ؟
سجل
أنا عربي
سلبت كروم أجدادي
وأرضا كنت افلحها
أنا وجميع أولادي
ولم تترك لنا.. ولكل أحفادي
سوى هذي الصخور..
فهل ستأخذها حكومتكم..كما قيلا!؟

ومن الوسائل التي تحقق التماسك المعنوي بالنص توافر الأفعال الانجازية بين القضايا المختلفة ، وهي ما تسمى بالرابطة الانجازية حيث نصنع موقفا في عقولنا يزودنا برابطة إنجازية بين القضايا[24]، ويتحقق ذلك من خلال تخيل الموقف الذي قيلت فيه القصيدة :

سجِّل!
أنا عربي
ورقم بطاقتي خمسون ألف
وأطفالي ثمانية
وتاسِعُهم... سيأتي بعد صيف!

عند التركيز في الأفعال الانجازية التي استخدمت القضايا الانجازية ، نحن نصنع في عقولنا موقفا يزودنا بروابط انجازية بين القضايا ففي النص يسأل شخصا ما أو موظفا الشاعر عن سؤال ، ويحاول أن يجيب الشاعر عن سؤاله ، وبذلك يمكن أن نأتى بالرابطة القاضوية المفقودة على النحو التالي :

(أ) ما قوميتك ؟
(ب) عربي

(أ) ما قوميتك ؟
(ب)(مستنكرا)
سجل
أنا عربي .
ورقم بطاقتي خمسون ألف

و بذلك يمكن الاستدلال على الروابط القضوية الضمنية من خلال تفسير الإنجازية ، مما يحقق التماسك النصي بتوفر الحبك بين أجزائه ، قد تميز النص بالجمع بين بين وسائل التماسك المختلفة سواء اللفظية أو المعنوية مما يحقق الغاية من تماسك النص بالوصول للبنية الكلية للنص .

تطبيق البنى النصية :

هذه القصيدة من أشهر قصائد الشاعر و قد قسمها إلى عدة مقاطع (خمسة مقاطع) تحمل في جوانبها عدة بنى نصية و تتميز هذه البنى بالتشابك فيما بينها وجعل لكل مقطع منها عبارة استهلالية في كل مقطع من مقاطع النص بـــ" **سجل... أنا عربي**" ، فالقصيدة تعبر عن هوية لاجئ و تطرح القضية في عبارات بسيطة ، بساطة تبلغ حد العجب في فتح أضيق الأبواب على أرحب الآفاق.[25]

فالقصيدة بنية كبرى تضم أربع بني صغرى ، و لكل بنية مفتاح يظهر خلال النص:
البنية الأولى : ملامح شخصية .
البنية الثانية : الاعتزاز بالاصل.
البنية الثالثة : كراهية كل معتد.
البنية الرابعة : الوعيد .

فهذه البنيات الصغرى تتأزر و تتلاحم لخلق البنية الكبرى للنص ، وتتنامى من خلال بنيات متضادة بين (الفخر و القهر) فتتأزر لتكون بنية كبرى وهي : **(صرخة التحدي)** في وجه كل محتل من خلال الفخر بالأصل ، وبالشخصية ، والشعور بالقهر و الظلم و الثورة على ذلك .

وقد بدأ الطرف الأول من هذه الثنائية **(الفخر)** في عتبة الدخول في البنية الأولي **(ملامح شخصية)** ، فالشاعر ينقل المتلقي من أول سطر في القصيدة إلى مشهد حواري مفترض ، يظهر فيه الشاعر مخاطبا الآخر ، مثبتا وجوده ، وأنه غير طارئ ، وتشير القصيدة إلى موقف صمودي في الأرض العربية تحت الاحتلال ، حيث يعبر الشاعر بقوة متحدية تلك السلطات لإثبات الوجود العربي ، فـ"**أنا العربي**" تأخذ مداها الأوسع ؛ لتشمل كل العرب الذين يعانون مما يعاني الشاعر ، وهي بذلك تعد قصيدة مقاومة للطمس ومحو الشخصية العربية على هذه الأرض ، بل هو واحد من كثير يتعدى عددهم الخمسين ألف ، مصرا على التجذر والتوالد على هذه الأرض (**أطفالي ثمانية ...و تاسعهم سيأتي بعد صيف**) ، وجاء استخدام الشاعر لضمير

المتكلم ليحيل لواحد (الفلسطيني) ، وجاء استخدامه لتأكيد المعنى و دلالة على اعتزازه بنفسه و عروبته (أنا **عربي)** فياء النسب تدل على عروبته الأصيلة التي يعتز بها و ياء المتكلم **(بطاقتي – أطفالي)** تأكيد لرسوخ الأصل و الفخر بذلك .

فقد ظهر العنصر الغنائي الثوري ، فهو يصارع المحتل بتأكيد الهوية ، وظلت الغنائية في شعره مستندة على ضمير المتكلم والحكي عن عذاباته ، فغنائية درويش هي غنائية المأساة باستغراقها الزمن الطويل هي غنائية بلا فرح ولا شجن[26].

ثم يرسم في المقطع الثاني ملامح شخصية العربي ، حيث العمل والكدح والانتماء للطبقة العاملة هو ما يميزه ويجعله فخورا بهذا الانتماء، وكان للكناية ظهور خلال الصور الشعرية في النص ، وذلك في قوله: **" وأعمل مع رفاق القدح في محجر"** إذ يشير إلى انتمائه للطبقة العاملة، ، وكذلك قوله:" **ولون الشعر فحمي**..." كناية عن عروبته وأصله التجذر في هذه الأرض ، وتأخذ بعض الألفاظ أبعادا رمزية ؛ فالخبز في المقطع رمز المحافظة على الشرف والأنفة والإصرار على الحق، حتى إذا ما ختم المقطع تظهر المفارقة الساخرة ، فإذا كان الشاعر ومن معه من الجماهير العربية من الطبقة الكادحة الفقيرة ، فإنها مع ذلك لا تنحني ولا تضعف أمام قرارات الحكومة معبرا عن هذا الموقف بالتعبير الساخر" **أمام بلاط أعتابك"**، فالمفارقة بين المعنيين دلالة على افتخاره بنفسه و إحساسه بقوميته ووطنيته.

ثم تأتي البنية الثانية : (**الاعتزاز بالأصل**) مع قوله:

أنا عربي
أنا اسم بلا لقب
صبور في بلاد كل ما فيها
يعيش بفورة الغضب

، حيث يعيد قوله (**أنا عربي)** كإصرار شديد على الأصل العربي ، ولكنه ينتقل هنا من الأنا التي قد يشعر بها المتلقي للنص إلى التعميم ؛ ليشمل كل عربي **(أنا اسم بلا لقب)** فلا ينحصر الفخر بالعروبة على شخص الشاعر بل كل من ينسب إلى القومية العربية ،وقد تصل هذه الشخصية إلى حد الأسطورة ، فقد سبقت في وجودها على هذه الأرض الزمان نفسه ، وكل عناصر الأرض الحية وغير الحية :

جذوري..
قبل ميلاد الزمان رست
وقبل تفتح الحقب
وقبل السرو والزيتون
وقبل ترعرع العشب

فالتأكيد على اعتزاز الشاعر بأصله وبقوميته العربية و التأكيد على أصالته بوجوده سابقا على كل الكائنات ،وجاء التكرار بـ(قبل) تأكيدا لذلك و تظهر في

المقطع بعض الصور الجزئية التي يعتمد عليها درويش في إظهار الصورة الكلية، وهي:

جذوري من قبل الزمان رست
وقبل تفتح الحقب

فصور الحقب بالزهرة المتفتحة ، وبداية الزمان بميلاد الكائن الحي، وجذوره التي وصلت إلى أعماق رحم الأرض بالسفينة الراسية، وذلك ليقدم أجزاء متصلة بصورة بلاغية واحدة ، موضحا في نهاية المقطع تطلعه والجماهير إلى الحرية ، وذلك في تعبيره" **شموخ الشمس**" الذي لا يتعارض مع كونه بيته كوخا مصنوعا من الأعواد والقصب!!.

ومن جوانب الاعتزاز بنسبه الافتخار بأصالته الزراعية ، فهو من أسرة كباقي الفلسطينيين يعملون بالزراعة ؛ لذلك فهم يعتزون بأرضهم و يعتبرونها جزءا من كيانهم و ضياعها ضياع لهويتهم :

أبي ...من أسرة المحراث
لا من سادة نجب
وجدي كان فلاحا بلا حسب.. ولا نسب

و قد استخدام حرف النفي (لا) لتأكيد أن أصالته جاءت من بساطته ، و تمسكه بالفلاحة لا لأنه ذو مال أو نسب كهؤلاء الذي يحاولون الاستيلاء على الأرض لما يمتلكونه من سلطة أو مال.

وتتجه القصيدة نحو بعد آخر يؤكد عربية الشاعر وأصله ، فكل من ملامحه ينتمي إلى هذه الأرض ، ويؤكد نسبته إليها، فالشعر أسود فاحم ، والعين بنية اللون ، ويزين رأسَه عقال وكوفية ، معبرا عن بأسه في التصوير التشبيهي في قوله:

وكفي صلبة كالصخر
تخدش من يلامسها

فقد شبه هنا كفه الصلبة بالصخر التي ترد الاعتداء على كل من اعتدى عليها.

ثم ترتفع نغمة الشاعر في مخاطبة الآخر في المقطع الأخير في (**كراهية كل معتد**) ، حيث يحتج على مصادرة الدولة للأراضي العربية الخصبة ، ولم تترك لهم سوى الأرض القاحلة، وهو بذلك يرسم معاناة الشعب العربي تحت الاحتلال المتمثلة في مصادرة الأراضي ، ومحاربة الناس في أقواتهم :

أنا عربي
سلبت كروم أجدادي
وأرضا كنت افلحها
أنا وجميع أولادي
ولم تترك لنا.. ولكل أحفادي
سوى هذي الصخور..
فهل ستأخذها حكومتكم..كما قيلا!؟

حيث يعبر عن الاستنكار الشديد و الكراهية الشديدة التي يحملها المقطع لكل محتل بما يفعل من ظلم و سلب، فالمحتل يسلب القوت و الأرض ، ولا يترك لهم إلا الصخور ، و تظهر نبرة الاستهجان من أفعال المحتل بتساؤله:

(فهل ستأخذها حكومتكم كما قيلا ؟!!) .

ثم يصل في نهاية القصيدة إلى بنية (الوعيد) بقوله :

سجل...برأس الصفحة الاولى
انا لا اكره الناس
ولا أسطو على احد
ولكني... اذا ما جعت
آكل لحم مغتصبي
حذار...حذار... من جوعي ومن غضبي.

حيث يعبر عن ثورة الغضب و الوعيد الشديد لكل محتل ومغتصب ، فهو يحمل في جوانبه كثير من المشاعر الانسانية :

أنا لا اكره الناس ولا أسطو على احد

فهو أو كل إنسان يحمل القومية العربية بحمل في جوانبه المحبة والألفة لكل الناس و أكد ذلك بـ(أنا) اعتزازا و فخرا بعروبته ، و النفي الذي جاء تأكيد لما يريد أن يعبر عنه من الانسانية ومحبته للناس .

ثم يأتي الاستدراك حتى لا يشعر المتلقي للنص بضعف الشخصية العربية ، ورضاها بالذل و الاستعمار و سلب الأقوات **(ولكني)** ؛ لتعلو نبرة التخويف والوعيد بأنه إذا حورب في قوته ، فسيتحول إلى كائن آخر ، يأكل لحم المغتصب ، فيحذرهم من جوعه ومن غضبه.

فكما بدأت القصيدة تعبيرا عن فخره و اعتزازه بشخصيته العربية بقوله **(أنا عربي)** ، جاء ختام القصيدة للدلالة على الشخصية القوية و الوعيد لكل من يحاول أن يتعدى على شخصيته و يغتصب أرضه مصدر فخره ، واعتزازه.

الخاتمة

لقد حاول هذا البحث أن يكشف عن وسائل تحقيق تماسك النص ودورها في الوصول للبنى النصية و بالتالي فهم البنية الكلية للنص (بطاقة هوية) ، واعتمد هذا البحث وعلى تحليل النص باعتباره وحدة دلالية لها تركيبها ونظامها الخاص ، وقد قامت الدراسة على تطبيق أدوات التماسك النصي الموجودة داخل النص .

وقد تناول البحث أدوات تحقيق البنى النصية المختلفة خلال النص؛ نحو :

- العنوان و دوره في فهم النص.
- الإحالة ودورها في التماسك النصي وفي ربط النص بالسياق من خلال الإحالة السياقية .
- التكرار بأنماطه المتعددة كالتكرار الكامل والجزئي والترادف والموازاة ، ودوره في تحقيق التماسك بين أجزاء النص .
- التضام وأدواته المختلفة كالتلازم الذكري والتباين ،ودورهما في النص .
- العلاقات المعنوية داخل النص؛ كالإجمال والتفصيل، وعلاقة الحوار ،ودورهم في تحقيق التماسك النصي .
- البنى النصية وكيفية تحقيقها داخل النص ، ودورها في الوصول للبنية الكلية مما يساعد على فهم النص كاملا .

و قد توصل البحث إلى عدة نتائج منها :

1- أهمية إعادة قراءة النصوص المختلفة (شعرا أو نثرا) قراءة نصية تعتمد على أن النص وحدة دلالية لها تركيبها ونظامها الخاص .

2- أهمية اختيار العنوان كعتبة من عتبات النص ، وذلك لأهميته في الوصول إلى ما يحمله النص من معان تساعد على فهم محتويات النص .

3- دور الإحالة النصية في تحقيق التماسك النصي بين أجزاء النص الداخلية، وكذلك دور الإحالة السياقية في تحقيق الربط بين النص و السياق الخارجي للنص.

4- توافر التكرار داخل النص بأنواعه المختلفة : الكامل و الجزئي و... ، مما يدل على دور وسائل السبك المعجمي في تحقيق التماسك داخل النص .

5- دور أدوات تحقيق التماسك التضام كالتباين والتلازم الذكري ، مما يساعد الكاتب على استخدام مخزونه اللغوي داخل النص .

6- تنوع أنماط الحذف كالحذف الاسمي و الفعلي ودورها في تحقيق التماسك ، دورها في إثارة ذهن المتلقي لملء الفراغات .

7- أهمية العلاقات المعنوية كالحوار و التفصيل بعد إجمال في تحقيق التماسك بين أجزاء النص ، ووجود الحبكة بين قضاياه .

8- دور البني النصية في فهم النص ،والعلائق بين أجزائه ، وقيمتها في الوصول للبنية الكلية التي تساعد في فهم النص .

المراجع و المصادر

- ابن الاثير.
المثل السائرفي أدب الكاتب.ت /كامل محمد عويضه – دار الكتب العلمية – بيروت .1998 م.
- حلمي خليل.
دراسات في اللسانيات التطبيقية –دار المعرفة الجامعية –الاسكندرية 200م-1420هـ.
- حميد لحيداني.
عتبات النص الأدبي ، مجلة علامات في النقد مجلد 12 عدد 46 ، 1423هـ.
- حيدر توفيق بيضون
محمود درويش شاعر الأرض المحتلة – دار الكتب العلمية – بيروت- 1990م.
- رجاء النقاش
محمود درويش شاعر الأرض المحتلة – كتاب الهلال – يوليو 1996
- عبد الرحمن ياغي.
شعر الأرض المحتلة في الستينات (دراسة في المضامين) ، الكويت ، الطبعة الثانية ، 1982م .
- ليلى يوسف حميد .
مجلة دار العلوم (العربية بين نحوالنص ونحو الجملة) مقال دور نحو الجملة في تفسير النص . القاهرة 2005 م.
- محمد خطابي .
لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب . المركز الثقافي العربي . بيروت . الطبعة الأولى .1991م.
- محمد العبد .
النص و الخطاب و الاتصال –الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة – الطبعة الأولى 2005م.
- محمد عناني.
المختار من شعر محمود درويش – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة –الطبعة الثانية 2008م
- محمود أحمد نحلة.
علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي .ملتقى الفكر . الطبعة الثانية.2001م .
- نوّاف الزرو.
محمود درويش وداعا – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت- لبنان – الطبعة الأولى – 2008م

- المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية – القاهرة – 2002م1423هـ .

مقالات ومواقع على النت :

- الموقع الرسمي لمحمود درويش mahmoud-darwish.org
- منصف المرزوقي. من أجل مفهوم متعدد المستويات للهوية.www.achr.nu/art.htm
- محمود ميعاري .تطور هوية الفلسطينيين على جانبي "الخط الأخضر"." .www.ajras.org
- د.سعيد عياد - الهوية والوجود في شعر محمود درويش - مؤتمر الإنسان والمجتمع الفلسطيني في إبداعات- يوليو 12، 2010 /http://blog.amin.org/said
- ويكيبيديا http://ar.wikipedia.org

مصادر مترجمة:

- فولفانج هاينه .
مدخل إلى علم اللغة النصي ت / سعيد بحيري . زهراء الشرق القاهرة الطبعة الأولى -2004م
- تون فان ديك.
علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ت : د/سعيد بحيري –دار القاهرة الطبعة الثانية 2005م.

الهوامش

[1] - فولفانج هاينه . مدخل إلى علم اللغة النصي ت / سعيد بحيري . زهراء الشرق القاهرة الطبعة الأولى -2004م صـ 3.

[2] - د/ محمود أحمد نحلة . علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي .ملتقى الفكر . الطبعة الثانية.2001صـ 59

[3] - د/ حلمي خليل دراسات في اللسانيات التطبيقية –دار المعرفة الجامعية –الاسكندرية 200م-1420هـ صـ 58

[4] - د/ محمود أحمد نحلة . علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي .ملتقى الفكر .الطبعة الثانية.2001صـ 153

[5] - د/ ليلى يوسف حميد . مجلة دار العلوم (العربية بين نحوالنص ونحو الجملة) مقال دور نحو الجملة في تفسير النص . القاهرة 2005 ج1 صـ 238.

[6] - حيدر توفيق بيضون – محمود درويش شاعر الأرض المحتلة – دار الكتب العلمية – بيروت-1990 صـ 5 .

[7] - د/ محمد خطابي - لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب . المركز الثقافي العربي . بيروت . الطبعة الأولى .1991م صـ 273

[8] - المرجع السابق 1991م صـ 284

[9] - د/ محمد العبد – النص و الخطاب و الاتصال –الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة – الطبعة الأولى 2005م صـ 177

[10] - تون فان ديك- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ت : د/سعيد بحيري –دار القاهرة الطبعة الثانية 2005م صـ 86

[11] - المرجع السابق صـ78: 80

[12] - هاني الخيّر- محمود درويش رحلة عمر في دروب الشعر – مؤسسة علاء الدين – دمشق-سوريا- الطبعة الأولى – 2005م صـ36.

[13] - د/ محمد عناني – المختار من شعر محمود درويش – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة –الطبعة الثانية 2008م صـ 10 : 13

[14] - حميد لحيداني : عتبات النص الأدبي ، مجلة علامات في النقد مجلد 12 عدد 46 ، 1423هـ صـ8

[15] - المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية – القاهرة – 2002م1423هـ صـ 654

[16] - منصف المرزوقي. من أجل مفهوم متعدد المستويات للهوية.www.achr.nu/art.htm

[17] - محمود ميعاري .تطور هوية الفلسطينيين على جانبي "الخط الأخضر"." www.ajras.org

[18] - د.سعيد عياد - الهوية والوجود في شعر محمود درويش - مؤتمر الإنسان والمجتمع الفلسطيني في إبداعات صـ 20: 27- يوليو 12، 2010 :http://blog.amin.org/said/

[19] - محمد عناني – المختار من شعر محمود درويش – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – الطبعة الثانية، 2008م صـ11

[20] - د.سعيد عياد - الهوية والوجود في شعر محمود درويش - مؤتمر الإنسان والمجتمع الفلسطيني في إبداعات صـ 29: 30، يوليو 12، 2010 :http://blog.amin.org/said/

[21] - رجاء النقاش – محمود درويش شاعر الأرض المحتلة – كتاب الهلال – يوليو 1996م ص306

[22] - د/ حلمي خليل دراسات في اللسانيات التطبيقية –دار المعرفة الجامعية –الاسكندرية 200م-1420هـ صـ 58

[23] -ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب ، 1998 ج2 صـ 181

[24] -- د/ محمد العبد – النص و الخطاب و الاتصال –الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة – الطبعة الأولى 2005م صـ 96-97

[25] -عبد الرحمن ياغي ، شاعر الأرض المحتلة في الستينيات 1982، صـ 102

د/ حلمي خليل دراسات في اللسانيات التطبيقية –دار المعرفة الجامعية –الاسكندرية 200م-1420هـ صـ 58

[26] - محمد إبراهيم الحاج صالح ، محمود درويش بين الزعتر و الصبار دراسة نقدية ، 1999صـ 3، 4